

9- إثبات صفات الرضى والغضب والسخط والأسف والكره والمقت

{ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [البينة: 8]. { وَمَنْ يَقُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ } [النساء: 93]. وقوله: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ } [محمد: 28]. { فَلَمَّا أَسْفَوْا اتَّقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } [الزخرف: 55]. وقوله: { وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ ابْتِغَاءَهُمْ قَتْلَهُمْ } [التوبة: 46]. وقوله: { كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } [الصف: 3]. [الشرح * قوله: (قوله: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } .) هذه الآيات تضمنت صفات فعلية لله -جل وعلا- وكما هو معلوم أن صفات الله تعالى على قسمين: الأول: الصفات الذاتية والثاني: الصفات الفعلية والفرق بينهما أن الصفات الذاتية هي الصفات اللازمة للموصوف دائما مثل: صفة الوجه، واليد، والسمع، والبصر، والكلام، والحياة، والعلم، والقدرة، ونحوها، فهي صفات ملازمة لله سبحانه، يعني: أنها ملازمة لذاته سبحانه، لا تنفك عنه بوجه من الوجوه. أما الصفات الفعلية: فهي الصفات التي يفعلها إذا شاء متى شاء لا على وجه الدوام، وقد تعرف بأنها التي تقوم بالموصوف وقتا، ويقوم به ضدها في وقت آخر، مثل صفة النزول، والمجيء، والإتيان، والرضا، والغضب، ونحوها. * وقد تضمنت الآية الأولى: إثبات صفة الرضى لله -سبحانه- وهي قوله سبحانه: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ } [البينة: 8]. والرضا في المخلوق: هو انبساط القلب إلى المريض عنه، وظهور البشر والفرح والسرور عليه، هذا في حق المخلوق، أما الرضا في حق الله فإنه حقيقي، ولكن لا نكفيه، ولا ندري ما كفيته. والدليل على أنه الرضا الحقيقي أنه قارنه برضا المخلوق { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } في عدة آيات في القرآن، منها هذه الآية في آخر سورة البينة، ومنها الآية التي في سورة التوبة: { وَالسَّائِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [التوبة: 100]. فأثبت أنه رضي الله عنهم، فدل على أنه يرضى، وأنهم رضوا عنه، ورضاهم فناعتهم بما أعطاهم، كما في الحديث الصحيح: { إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: هل رضيتم، فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين؛ ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تثقل موازيننا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟... } الحديث فهذا رضا المخلوق، وأما رضا الخالق فهو -كما في بقية الحديث- أنه سبحانه يقول لهم: { أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا } أخرجه البخاري برقم (6549) في الرقاق، باب: "صفة الجنة والنار"، ورقم (7518) في التوحيد، ومسلم برقم (183) في الإيمان، باب: "معرفة طريق الرؤية"، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. فأثبت أنه يرضى، وأن له رضى، وأثبت ضده وهو السخط، ومن الأدلة على أن الرضى ضد السخط. * الآية الثانية: وهي قوله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ } [محمد: 28]. السخط هو الغضب، وهو ضد الرضا وقد أثبت الله لنفسه الغضب، وأثبت لنفسه السخط، ووصف نفسه بأنه يسخط ويرضى ويغضب. فهؤلاء المنافقون: { اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ } يعني: اتبعوا الشيء الذي يسخطه ويغضبه، وهو عصيانهم وتمردهم عن طاعة الله. وفي حديث الشفاعة المشهور يقول آدم ونوح وإبراهيم { إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله } أخرجه البخاري برقم (3340) في أحاديث الأنبياء، باب: "قول الله عز وجل: "ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه"، ومسلم برقم (194) في الإيمان، باب: "أدنى أهل الجنة منزلة فيها"، عن أبي هريرة رضي الله عنه. . فدل على أن الغضب صفة حقيقية ثابتة يتصف بها سبحانه إذا شاء متى شاء، فهي من الصفات الفعلية، ثم قال: { وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ } فذكره بالاسم -رضوانه- أي: رضاه، وقد ورد الرضا بالاسم والفعل. * الآية الثالثة: وهي قوله تعالى: { فَلَمَّا أَسْفَوْا اتَّقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } [الزخرف: 55]. فيها أيضا إثبات ضد الرضى وهو الأسف بمعنى الغضب أو شدة الغضب، وقوله: { فَلَمَّا أَسْفَوْا } يعني: أغضبونا، جعل الأسف مكان الغضب، يعني: أنهم اتبعوا الشيء الذي غضب الله عليهم لأجله، وقد سمي الله الغضب أسفا في قوله: { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا } [الأعراف: 150]. يعني: غضبان غضبا شديدا. فنقول: إن الله -سبحانه- يغضب وبأسف ويسخط كما ينشأ، وهي من الصفات الفعلية. * الآية الرابعة: وهي قوله تعالى: { وَمَنْ يَقُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: 93]. والشاهد منها قوله: { وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ } ففيها إثبات الغضب واللعن، واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، والغضب صفة فعلية يتصف الله بها إذا شاء وقد أثبتنا أهل السنة لله -سبحانه- على ما يليق به، ونفاها غالب المبتدعة؛ كالأشاعرة، والمعتزلة ونحوهم، فإنهم ينكرونها، يقولون: لا نعرف الغضب إلا أنه خاص بالمخلوق، ويقولون: إن الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام، وهذا لا يليق بالله، فيقال لهم: إن هذا ما تعرفونه من صفات المخلوق، فأما غضب الخالق فهو كما يليق به، والآيات في الغضب أيضا كثيرة منها قوله تعالى في آية اللعان: { وَالْحَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [النور: 9]. فدل على أن الله يغضب إذا شاء. * الآية الخامسة: وهي قوله تعالى: { وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ ابْتِغَاءَهُمْ قَتْلَهُمْ } [التوبة: 46]. الشاهد قوله: { كره } ففيه إثبات الكره والكرهية بمعنى البغض، دل على أن الله يكره ويبغض إذا شاء، ومعنى الآية: أن الله تعالى كره خروج المنافقين مع المؤمنين للقتال، فحبسهم عن ذلك لحكمة. فكره الله لخروجهم فيدنا إثبات صفة الكراهية، وهي أيضا من الصفات الفعلية التي يتصف بها إذا شاء متى شاء. * الآية السادسة: وهي قوله تعالى: { كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } [الصف: 3]. فيها إثبات المقت، ومثلها قول الله تعالى: { لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ } [غافر: 10]. والمقت: هو البغض الشديد، دل ذلك على أن الله يمقت أي: يبغض وهو ضد الحب، وورد في الأحاديث إثبات صفة البغض لله تعالى كما في الحديث الصحيح: { إن الله إذا أبغض عبدا نادى جبريل، فقال: إني أبغض فلانا فأبغضه } أخرجه مسلم برقم (2637) في البر والصلة، باب: "إذا أحب الله عبدا حبه إلى عباده"، عن أبي هريرة رضي الله عنه. . فيجب علينا إثبات هذه الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي صفة المقت والكرهية، وهي متقاربة، والكرهية ضد المحبة، ويجب إثبات الغضب والأسف، وهي متقاربة، واللعن والسخط والأسف. وهذه الصفات -كما تقدم- هي صفات فعلية -يفعلها الله إذا شاء متى شاء- كما يليق به سبحانه، فنثبتها له سبحانه من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف، فالله سبحانه يرضى إذا شاء ويغضب إذا شاء ويجب إذا شاء، ويكره ويبغض إذا شاء... إلخ. فهي صفات فعلية اختيارية، قد تسمى أفعالا بالنسبة إلى ورودها بلفظ الفعل: كره ورضى، فهي أفعال، وتسمى صفات؛ حيث إنه يتصف بها ذلك الكاره والمحب، والمبغض ونحوه، ويجب إثبات كل ذلك على ما يليق بجلال الله وكماله.